

## إسلامنا وإسلامهم والخوف المتبادل

أي خوف من الإسلام ولكنه قول غير صحيح ومن يتبناه يعبر عن عدم احترامه للحقيقة.

في محل آخر يمكننا القول إن المجتمعات الغربية التي تؤوي الملايين من المسلمين كانت قد ضربت بعنف مرات عديدة من داخلها. ذلك لأن منفذي تلك الضربات كانوا إما قد ولدوا بين أحضانها أو ترعرعوا في ظل رعايتها. فهل يكون لشعار الانتقام الذي يرفعه أولئك المجرمون مؤكدين رغبتهم في الفار للإسلام أي معنى سوى أنهم كانوا شاذة مشدودة إلى قيم داخلية لا تعرف التسامح ولا التعايش ولا تستحق أن يُنظر إليها بشفقة.

حين نندد بظاهرة الإسلاموفوبيا مشككين بديمقراطية المجتمعات الغربية ننسى الدور المرب الذي تقوم به الجمعيات الإسلامية التي غالبا ما يتم تمويلها من قبل الدولة غير أنها في حقيقة رصيدها المالي إنما تشكل قوة ضاربة على مستوى تبييض الأموال وهي أموال تُنفق على عمليات الانشقاق عن المجتمع الغربي وعبء الدولة "الكافرة" وخرق القوانين "الوضعية".

### حين نندد بظاهرة

الإسلاموفوبيا مشككين بديمقراطية المجتمعات الغربية ننسى الدور المرب الذي تقوم به الجمعيات الإسلامية

حين ندافع عن أنفسنا وعن ديننا نطلب من الآخر أن يفكر بطريقةتنا.

ذلك أمر غير معقول. فالإسلام الذي نعرفه هو غير الدين الذي يستعرضه الإسلاميون ويقومون على أساسه صلتهم بالآخرين. الإسلام الذي يخاف منه الغربيون هو إسلام مواطنيتهم أولا وهو إسلام منقطع عن العقيدة الأصلية ويستعملها بانتقاء خبيث وشري.

اليوم تشعر الدول الغربية بأنها أخطأت حين شملت الجمعيات الإسلامية بإغانتها. كانت تلك الجمعيات بؤرا للإرهاب والتخريب والتخريب على الهدم. ولكن ذلك الذم سينعكس سلبا على علاقة الدولة بالجاليات المسلمة التي وضعت أولادها في خدمة أهداف تلك الجمعيات.

خلاصة القول إن الخائفين من الإسلام ليسوا على خطأ، فنحن أيضا خائفون على الإسلام من الإسلام السياسي الذي صار بمثابة واجهة غير شرعية لجاليات سيكون عليها أن تدفع ثمن ما أنتجت من إرهابيين. الإرهابيون كانوا دائما في مقدمة صورة الإسلام.

الإسلام الذي نعرفه لا يمكن فرضه على طريقة الآخرين في النظر إليه. فهم في مواجهة إسلام آخر هو الإسلام الذي يعيش بينهم.

فاروق يوسف

كاتب عراقي

في مقابل التنديد بظاهرة الخوف من الإسلام التي تنتشر في الغرب يلجأ الكثيرون إلى الدفاع عن الدين الإسلامي من خلال الدعوة إلى التمييز ما بين عقيدته الأصلية وبين الأفكار المتشذدة التي تدعو إلى العنف باعتبارها أفكارا طارئة عليه وبدعا مستحدثة اختلقتها جماعات سياسية شاعت أن تتخذ من الدين ستارا. ذلك كلام صحيح ولكن أن تطلب من شخص لا يعرف عن الإسلام شيئا أن يتخطى عقدة الظاهرة اليومية ويعود إلى الأصول النظرية فإن ذلك أشبه بالحرف في الهواء. فالإنسان الغربي العادي على سبيل المثال غير ملزم بقراءة الكتب النظرية المتعلقة بالإسلام لكي لا يحكم عليه من خلال سلوك الجاليات الإسلامية التي تعيش معه في الحاضنة الوطنية نفسها من غير أن تقاسم أي نوع من أنواع العلاقات السوية رافضة أن تلزم بقوانين الدولة التي وهبت أفرادها حقوق مواطنة ما كانوا يحملون بجزء يسير منها في أوطانهم الأصلية.

من حق ذلك الشخص أن يتساءل بذعر "لم لا تذهبون إلى إيران ذات النظام الإسلامي لتعيشوا متصالحين مع أنفسكم ومع محيطكم الاجتماعي ولتتركوا بلاد الكفار لشأنها؟"

ذلك سؤال رده مسؤولون غربيون من المستوى الرفيع من أن يجعلوا منه شعارا لهم خشية أن يتهموا بالعنصرية وهم براء منها. غير أن كثيرا من الغربيين يتداولونه تعبيرا عن استغرابهم المزوج بخشيتهم من أن يتم تطبيع الظاهرة غير الديمقراطية التي تعيش عالة على مجتمعات ديمقراطية.

هناك وقائع تؤكد أن المسلمين الذين يعيشون في الغرب، وهم كتلة كبيرة، مذنبون وليسوا متهمين فقط. لذلك فإن الشبهات التي صارت تحوم حولهم ومن خالهم على الإسلام لها أساس مؤد في الواقع. فعلى سبيل المثال فإن السويد وهي بلد محايد لم تكن تسمح بالمساواة بمواطنيتها من أصول أجنبية بل كانت تحت أولئك المواطنين على الإبلاغ عن أي سلوك يعتقدون أنه ينطوي على نوع من ممارسة العنصرية ضدهم. ولكن مجتمع الأقليات وبالأمس المسلمة شهد خلال السنوات الماضية تصاعدا لوتائر العنف انطلاقا من السرقة والتخريب والاتجار بالمخدرات وصولا إلى القتل مرورا بعمليات التزوير والاحتياط وتسخير القوانين الإنسانية لغايات غير شريفة وغير نزيهة. ذلك كله ما دفع الدولة السويدية إلى دعم إنتاج أفلام ومسلسلات تلفزيونية تقوم بفضح تلك الظواهر من أجل وضعها على طاولة التشريح العام من غير السكوت عنها والذي يعتبر نوعا من التسخر الذي يتعارض مع مبدأ الشفافية الذي اكتسب من خلاله المجتمعات الديمقراطية قوتها.

قد يصير البعض على وصف ما يجري بأنه نوع من الـ"إسلاموفوبيا" ويتطلب تحقيق نتائج إيجابية بلورة استراتيجية شاملة للتجديد، مع منهجية تعليمية لخطاب ديني متطور من خلال تطوير آليات عمل المعاهد والجامعات الدينية والانفتاح بشكل أكبر على تعديل مناهج التدريس، وبطال هذا التغيير مناهج البحث الفقهي أيضا التي ما زالت رهينة ما جاء في كتب التراث.

ويمكن أن تواجه دعاوى التجديد تحديات كبيرة بسبب تغلغل تيار الإسلام السياسي في المؤسسات الدينية بكل من مصر والسعودية، وشكلت من قبل حاضنة لعناصره، ومازالت لا تقتنع بالرؤى التنويرية الحديثة.

وتدعم جديدا القاهرة والرياض في التعامل مع أخطار تنظيمات الإسلام السياسي إكناسية التحرك بشكل مشترك بين المؤسسات الدينية في البلدين، وتكامل الجهود مع غيرها من التصورات الفقهية للمؤسسات الدينية في دول المغرب العربي، مع الاستعانة بمفكرين وأساتذة فلسفة إسلامية، وعدم إقتصار الأمر على الاجتهادات الدينية بعيدا عن الفضاء المجتمعي المحيط بعملية التجديد.

## مصر بعد السعودية تشرع في نفض الغبار عن التراث الفقهي

شيخ الأزهر يمنح إشارة البدء

للتخلص من جمود القيادات المهيمنة على ملف التجديد



الظروف أصبحت مواتية ل طرح الأفكار التنويرية

الذي تأخذه قضية التجديد وتسلط الضوء عليها من خلال وسائل الإعلام والتطرق لقضايا الإرهاب والانضمام للحركات المسلحة عوامل تضيق الخناق على الأفكار المتشذدة. ويقلص إعلان شيخ الأزهر عن وجود قضايا بعينها بحاجة إلى التجديد من قدرة تنظيم الإخوان وغيره من التنظيمات الإسلامية على التأثير في العامة، لأن سكوت المؤسسات الدينية كان يعني أن ما تذهب إليه القيادة السياسية له أهداف خاصة بها بخلاف الوضع القائم الذي يأتي فيه التجديد من الأزهر.



عبد الفتاح هندي  
الأزهر يواجه عدة أزمات على طريق التجديد، أولها قناعة قياداته

محمد أبوحامد  
جمود الفكر الديني ألقى بظلاله السلبية على حركة التقدم

ويعتقد مراقبون أن تشكيل جماعات الإسلام السياسي في الدول العربية على التأثير في القيادات السياسية أفسحت المجال أمام الوصول إلى المرحلة الراهنة التي انتقلت فيها رؤية التجديد إلى رأس المؤسسة الدينية في مصر. وأشار إلى أن تحركات السعودية ومصر سوف يكون لها مردود اجتماعي وسياسي لأن هناك معاناة مشتركة الأزهر، وكيفية تحقيق البعد السياسي المرتبط بمواجهة أفكار التنظيمات المتطرفة داخليا وخارجيا. وبغض النظر عن وجود اتفاق بين مصر والسعودية على طرح رؤية التجديد في توقيت متقارب من عدمه، فإن هذه الأفكار ستأخذ طريقها نحو

التأثير المباشر في المجتمعات العربية لما تملكه الدولتان من رمزية دينية، وأن توافق الرؤى بين المؤسسات السياسية والدينية يقلص فرص التشكيك في أي خطوات جادة لتجديد الخطاب الديني.

وتعمل مصر والسعودية منذ سنوات على سد الفجوات بين الحسابات السياسية التي تأخذ مواقف جريئة من التحديث وبين مواقف القيادات الدينية والعلماء المتخصصين التي تميل نحو الجمود، وبفعل طبيعة العلاقة بين المؤسسات المختلفة في السعودية جرت ترجمة الكثير من الرؤى السياسية إلى خطوات عملية شكلت أساسا للتجديد.

ولم يأخذ الأمر في مصر التطور نفسه لأن شيخ الأزهر رفض في مرات عديدة إعادة النظر في تنقيح التراث وتمسك برؤية المؤسسة الدينية الأكبر في البلاد، وبدا أن هناك انفصاما بينها وبين السلطة السياسية الساعية نحو التجديد، إلى أن أدرك الأزهر أن التطورات الاجتماعية في مصر ومحيطها العربي سوف تتجاوزوه وقد تهرّج مكانته.

وقال الباحث في شؤون الأديان محمد أبوحامد، إن مطالبات مراجعة الخطاب الديني وتجديده باتت شعبية بعد أن أضى الخطاب الحالي غير قادر على التعامل مع المشكلات الاجتماعية، وفي الوقت ذاته هناك مسائل فقهية عدة تم إدخالها على الفكر الديني ليست من صميم الإسلام لخدمة تيارات سياسية، وهو ما نتجت عنه ظواهر سلبية في بعض المجتمعات العربية التي أيقنت الآن بحتمية للتجديد.

وأضاف في تصريح لـ"العرب"، أن قدرة قادة الفكر في الدول العربية على التأثير في القيادات السياسية أفسحت المجال أمام الوصول إلى المرحلة الراهنة التي انتقلت فيها رؤية التجديد إلى رأس المؤسسة الدينية في مصر. وأشار إلى أن تحركات السعودية ومصر سوف يكون لها مردود اجتماعي وسياسي لأن هناك معاناة مشتركة الأزهر، وكيفية تحقيق البعد السياسي المرتبط بمواجهة أفكار التنظيمات المتطرفة داخليا وخارجيا. وبغض النظر عن وجود اتفاق بين مصر والسعودية على طرح رؤية التجديد في توقيت متقارب من عدمه، فإن هذه الأفكار ستأخذ طريقها نحو

أدى الاهتمام المتصاعد الذي تأخذه قضية التجديد الديني وتسلط الضوء عليها عبر وسائل الإعلام إلى تضيق الخناق على الأفكار المتشذدة، ما دفع شيخ الأزهر إلى الدعوة للتجديد الذي لا يُشوّه الدين ولا يُلغيه، داعيا كبار العلماء إلى الاجتهاد الجماعي في 25 قضية جديدة ومعاصرة، على رأسها قضايا الإرهاب والتكفير والهجرة والالتحاق بجماعات العنف المسلح وقضايا المرأة.

أحمد جمال  
صحافي مصري

هذه الدعاوى من دون أن يلقي معارضة قوية من داخل مؤسسته التي تأثرت قياداتها بالفكر الوهابي في السعودية. وأكد الأمير محمد بن سلمان في مقابلة تلفزيونية أن تفسير الإسلام في بلاده لم يعد مقتصرًا على تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن السعودية ملتزمة بتطبيق نصوص القرآن والأحاديث المتواترة، مشيرًا إلى أن الحكومة "تنتظر إلى أحداث الأحاد حسب صحتها وضعها ووضعها".

وكتشف عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عبدالغني هندي، أن الأزهر يواجه عدة أزمات على طريق التجديد، أولها قناعة قياداته بهذا الأمر في ظل هيمنة تيارات سياسية على اتخاذ القرار الفقهي داخله، وسيكون التحدي الأول أمام تنفيذ رؤية شيخ الأزهر إداريا وليس فقهيًا، لأنه سيصطدم برفض تيار لديه أجندة سياسية وآخرين يتعاملون مع مناصبهم على أنها وظيفية تقليدية غير مؤهلة للتجديد.

تحديات كبيرة تواجهها دعاوى التجديد بسبب تغلغل تيار الإسلام السياسي في المؤسسات الدينية في مصر والسعودية

وأوضح في تصريح لـ"العرب" أن المشكلة الأخرى ترتبط بعملية التمويل التي تجعل من التجديد أسلوب عمل للمؤسسات المنضوية تحت لواء الأزهر، وكيفية تحقيق البعد السياسي المرتبط بمواجهة أفكار التنظيمات المتطرفة داخليا وخارجيا. وبغض النظر عن وجود اتفاق بين مصر والسعودية على طرح رؤية التجديد في توقيت متقارب من عدمه، فإن هذه الأفكار ستأخذ طريقها نحو



القاهرة - حركت تصريحات ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان ثم شيخ الأزهر أحمد الطيب، بشأن التراث الفقهي وضرورة تنقيحه، الكثير من المياه الراكدة في حقل التجديد الديني والفكري، وأحدثت صدمة لدى جماعات الإسلام السياسي التي عولت على أن يظل الجمود مستمرا لخدمة أهدافها ومصالحها.

وقال شيخ الأزهر ورئيس مجلس حكماء المسلمين الأثينين، إن التيار الوسطي وحده الجدير بمهمة التجديد الذي تتطلع إليه الأمة ولا يشوه الدين ولا يلغيه ويأخذ من كنوزه ويستضيء بهديه ويترك ما لا يناسب من أحكامه الفقهية لغيره التي قيلت فيها. وقرّر الأزهر إنشاء مركز دائم باسم "مركز الأزهر للتراث والتجديد" يضم علماء المسلمين من داخل مصر وخارجها ومجموعة من أساتذة الجامعات والمتخصصين في مجالات المعرفة ممن يرغبون في الإسهام في عملية التجديد.

ودعا شيخ الأزهر في حلقة سابقة من برنامجه التلفزيوني "الإمام الطيب" المذاع يوميا في رمضان، كبار العلماء إلى الاجتهاد الجماعي في 25 قضية جديدة ومعاصرة على رأسها قضايا الإرهاب والتكفير والهجرة والالتحاق بجماعات العنف المسلح وقضايا المرأة.

وتطرق في دعوته إلى قضايا لم يقترب منها من قبل، وبدا كأنه يريد التخلص من جمود أفكار قياداته التي ظلت مهيمنة على توجهات الأزهر في مسألة التجديد عموما. ويبدو أن الشيخ أحمد الطيب وجد البنية مواتية ل طرح الأفكار التنويرية علنا من خلال برنامج يشاهده الملايين من الناس، وأن حديث ولي العهد السعودي قبل أيام، ساعده على أن يقدم



الإسلام لا يمكن فرضه على الآخرين